شعوب الغرب. ومما لا شك فيه ان التوسع الاستعماري يساهم في التخفيف من حدة كثير من المشاكل الناجمة عن التحديث، مثل الازمات الاقتصادية والانفجارات السكانية، وذلك من طريق تصديرها الى المستعمرات ولكن المانيا لم يكن لها مشروع استعماري مستقل، نظراً الى تفتتها؛ فمرت عليها مرحلة الاستعمار المركنتالي في القرنين، السادس عشر والسابع عشر؛ ثم مرحلة الاستعمار في اطار المنافسة الحرة في القرنين، الثامن عشر والتاسع عشر.

ولم تدخل المانيا الحلبة الاستعمارية الا في مرحلة الرأسمالية الاحتكارية، بعد ان كانت انجلترا وفرنسا (ومن قبلهما اسبانيا والبرتغال) قد التهمتا معظم العالم. وبطبيعة الحال، حاولت المانيا القيصرية، بعد ان تسارعت عملية التحديث داخلها، الى بسط نفوذها على بعض مناطق العالم، فأنشأت علاقات وثيقة مع الدولة العثمانية، وحلّت محل بريطانيا وفرنسا كحليفها الاكبر؛ كما احتلت بعض مناطق في افريقيا، بل وفي أوروبا. وقد تحطم مشروع المانيا الاستعماري، تماماً، في الحرب العالمية الاولى، ووزعت مستعمراتها الافريقية على الحلفاء، أي انه لم يكن لها مجال استعماري حيوي تقوم بتصدير مشاكلها اليه، الامر الذي لم يترك أمامها بديل، سوى ان تتجه، بكل قوتها، حينما استعادتها، نحو الدول السلافية، وحوّلتها الى مجال استعماري لها.

وقد كان المشروع النازي يهدف الى تفريغ هذه المناطق من سكانها السلاف (تماماً مثلما تحاول ان تفعل اسرائيل في فلسطين المحتلة) من طريق نقلهم، أو ابادتهم ان لزم الامر. ولعل من الحقائق التي يجب تأكيدها ان المستهدف من مشروع الابادة النازية كان، أساساً، العناصر السلافية «الفائضة»، وهي، في نهاية الامر، التي تمت ابادة الملايين منها، باعداد تفوق اليهود (حتى لو قبلنا بالرقم ستة ملايين الخرافي). ولم تكن ابادة اليهود من الاهداف الاستراتيجية للفكر النازي الالماني. فكل ما حدث هو ان المناطق التي كان النازيون يودّون ضمّها كانت تضم عناصر يهودية كان لا بد من القضاء عليها حتى تتم عملية التفريغ المرجوّة. فحسب رؤية هتلر، لم يكن هناك مجال لعدد كبير من السلاف. ولذا، كان من الضروري القضاء على مئات الملايين منهم، والاحتفاظ باعداد محددة، مهمتها الرئيسة خدمة المستعمرين الالمان.

بل يمكن القول أن معاهدة فرساي لم تحطم المشروع الاستعماري الالماني وحسب، بل حطمت، أيضاً، المشروع التحديثي الالماني ذاته، وحوّلت المانيا ذاتها الى مايشبه المستعمرة، وتمّ استغلالها الى أقصى حد، فمنعت من الاتحاد مع النمسا، وقد كان مطلباً شعبياً المانياً؛ كما تمّ استقطاع اجزاء كبيرة منها ضمت الى الدنمارك وبولندا وفرنسا وبلجيكا وليتوانيا. وتمّ وضع منطقة السار، الغنية بالفحم، تحت اشراف عصبة الامم، لمدة خمسة عشر عاماً، تدار اثناءها مناجمها من طريق فرنسا. علاوة على هذا، تمّ تحديد حجم الجيش، وسلّمت كميات هائلة من الزاد والعتاد الحربي للحلفاء، وخفّضت كمية الذخيرة المسموح بانتاجها، كما خفّضت قوة السلاح البحري، ولم يسمح بوجود قوات جوية بتاتاً، وفرضت غرامة مالية كبيرة على المانيا. وتقرر أن تحتل قوات الحلفاء الضفة اليسرى للراين لمدة خمسة عشر عاماً، للتأكد من تنفيذ شروط المعاهدة. وقام الحلفاء المنتصرون بالغاء المعاهدات التجارية المبرمة بين المانيا وبين الدول الاخرى، وصودرت ودائع المانيا المالية في الخارج، وانقص حجم البحرية التجارية الالمانية الى عشر حجمها. وكل هذه الاجراءات تذكر المرء بما حدث لمحمد علي، صاحب أول تجربة تحديث في الشرق العربي، والذي هدد ظهوره الخطط الغربية للاستيلاء على تركة رجل اوروبا المريض ـ أي الدولة العثمانية ـ وفي نهاية الامر، كان على المانيا أن تدفع غرامة عينية، وان تدفع، بشكل مؤقت، ومباشر، مبلغ ٢٠ بليون مارك ذهبي. وتمّ تحديد المبلغ، في نهاية الامر،